

## القديس يوحنا كرونشتادت والطاعون السيبري في ١٩٠٣

### الأم تاييسيا من دير ليوشينو

#### نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

"الرَّبُّ نُورِي وَخَلَّاصِي، مِمَّنْ أَخَافُ؟ الرَّبُّ عَاضِدُ حَيَاتِي، مِمَّنْ أَفْرَعُ؟" (مزمور ١:٢٧)  
 "رَفَعْتُ عَيْنِي إِلَى الْجِبَالِ، مِنْ حَيْثُ يَأْتِي عَوْنِي! مَعُونَتِي مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، صَانِعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...  
 الرَّبُّ حَافِظُكَ. الرَّبُّ ظِلٌّ لَكَ عَنْ يَمِينِكَ." (مزمور ١٢١: ١-٢، ٥)

أثناء زيارته لنا عام ١٩٠٣، قام الأب يوحنا بتدشين كنيسة الشتوية المكرسة للثالوث الأقدس. في ذلك الوقت كان هناك تجمع ضخم من الناس، حيث كانت هناك دورات للمعلمين في ذلك العام شاركت فيها أكثر من سبعين معلمة. إن السكوت عن حدث ذي أهمية كبيرة حدث بصلوات الأب يوحنا هو خطيئة. لقد حدث أمام أعين القرية كلها وغرف في كل المنطقة. في ذلك الوقت، تحدث الجميع وكتبوا عنه. الآن، بعد وفاة باتيوشكا، يشير السيد أ. غولتيسون، هنا في الدير، إلى أن صحف تلك الفترة تحدثت عن هذه المعجزة التي وقعت في عام ١٩٠٣، في بداية شهر حزيران.

"الطاعون السيبري" كان قد ظهر في منطقتنا وكانت أبقار وخيول كثيرة تموت كل يوم. فُرض الحجر الصحي على مختلف الجهات. كانت فكرة زهابي وإحضر باتيوشكا إلى الدير ترعيني. كان على جميع الذين يصلون على متن السفن، سواء من أماكن بعيدة أو قريبة، أن يسيروا على الأقدام لمسافة سبعة أميال ونصف، من الرصيف إلى الدير. في الواقع، لم يكن هناك وباء في ديرنا ولم تكن أي من الماشية قد نفقت، ولكن بسبب الحجر الصحي المحيط لم يكن بإمكان المرء الذهاب إلى الدير أو الخروج منه بأي وسيلة أخرى غير الأقدام. أخيرًا، أصبح من الضروري حلّ هذه المسألة: إما إخطار الأب يوحنا باستحالة زيارة دير ليوشينو، أو اتخاذ القرار بالذهاب، بغض النظر عن الخطر. من بعد الصلاة، قررتُ بإيمانٍ أن أذهب.

اتخذت كل الاحتياطات، وسافرتُ ليلاً لتجنب حرارة النهار، وذهبت في عربة خفيفة بسيطة مع حصان واحد إلى الرصيف. كان هناك خط حجر صحي على بعد ميل تقريبًا قبل الرصيف، وقد عبرناه بصعوبة، وما كان ليُسمح لنا بعبوره لولا أن جميع حيوانات الدير «كانت بصحة جيدة». ما أن تجاوزنا الحاجز حتى قابلتنا عربتان تحملان خيولاً ميتة لدفنها في المكان المخصص لذلك. تضاعف خوفي وتوجّسي، وصرت شبه مقتنعة بأنني سأفقد حصاني. وبطريقة ما، وصلت أخيرًا إلى الرصيف، ومع كل الاحتياطات بدأت برش حصاني بالماء المقدس وتبخيره، ومن ثم أدخل الحصان إلى الاسطبلات.

في الصباح، ذهبنا لمقابلة باتيوشكا، وأخبرته بكل شيء بينما كنا على متن السفينة. بعد أن استمع لي، نهض باتيوشكا من مكانه وراح يمشي على سطح السفينة وهو يصلي. بعد حوالي نصف ساعة جلس بجواري مرة أخرى وقال: "يا لهذا الكنز الذي عندنا في الصلاة! بالصلاة يمكننا الحصول على كل شيء من الرب، كل الأشياء الصالحة، قهر أي تجربة، أي ضيق وأي حزن". شعرت من خلال هذه الكلمات أن صلواته ستنتصر على مشكلتنا مع "الطاعون السيبيري"، وأخبرته بذلك على الفور. أجاب باتيوشكا: "حسنًا، «كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَظَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ» (مرقس ٩:٢٣)".

عندما اقتربت السفينة من الرصيف "بوركي"، كان هناك بالفعل ما لا يقل عن مائة مزارع ومالك أرض ينتظرون للتوسل إلى الأب يوحنا ليصلي لإنقاذهم من تجربة فقدان ماشيتهم الرهيبة. "ماذا سنفعل بدون الماشية؟ إنها تطعمنا. لن يبقى ما نحرت به؛ سنفتقر. نحن أصلًا فقراء بالفعل، إذا فقدنا ماشيتنا، فسيكون الوضع أسوأ." قال الأب يوحنا: "بسبب خطاياكم، سمح الرب لهذه المشكلة أن تحل بكم، لأنكم تنسون الله باستمرار. تُمنح لنا أيام الأعياد حتى نذهب إلى الكنيسة ونصلي إلى الله، لكنكم تقضون وقتكم في الشرب. عندما يشرب الناس أي خير يأتي؟ أنتم تعرفون أنفسكم!"

"بالطبع يا باتيوشكا العزيز، لا خير في الشرب، لا شيء سوى الشر."

"هل تدركون هذا يا أصدقائي، أننا نوبّخ حسب خطايانا؟"

"كيف لا نعرف، باتيوشكا! صل من أجلنا نحن الخطاة!" وسقط الجميع على ركبهم.

أمر باتيوشكا بإحضار وعاء وملئه من مياه النهر. بعد أن بارك الماء، قال: "ليأخذ كل واحد من أصحاب الأرض هذا الماء إلى المنزل ويرش ماشيته. لقد أظهر الرب لكم رحمته". ثم خرج باتيوشكا إلى الشاطئ حيث كانت كانت خيولنا، ورشها بنفسه، بما في ذلك الحصان الذي أوصلني إلى الرصيف، وذهبنا إلى الدير دون أي خوف. في نفس اليوم ذهب جميع الفلاحين حسبما أمرهم؛ رُفَعَت كل المحاجر. أما بالنسبة للطاعون، فكل ما تبقى منه هو ذكرى ممزوجة بالدهشة الموقرة لرجل الصلاة العظيم في الأرض الروسية. على الرغم من أننا في الدير لم نخسر أي ماشية، إلا أننا طلبنا من باتيوشكا رشها والصلاة من أجل الصالح العام. أمرنا رجل الصلاة الذي لا يقدر بثمن، بعد أن بارك الماء، أن نسير كل الماشية من أمامه، وهو بارك كل واحدة على حدة بالماء المقدس كما بارك الخيول أيضًا.

Source: Abbess Thaisia of Leushino, "An Autobiography of a Spiritual Daughter of St. John of Kronstadt".

.Platina, CA: St. Herman Press, March 1, 1989, pp. 283-287